

أحدث الوسائل

لتوفير سعادة الطفل في أمريكا

بقلم المربية الفاضلة السيدة منى صدقي

مبادئ الخدمة الاجتماعية سواء في مصر الناهضة أو في البلاد الأمريكية كثيرة متعددة فثمة خدمة اجتماعية طيبة ، وأخرى للمعونة المالية ، ومنها ما يعنى بالشيخوخة العاجزة ومنها ما يحنو على الطفولة الناشئة ، وغيرها وغيرها من ضروب الخدمات الاجتماعية . ومن أبعاد هذه الخدمات شأننا وأبعدها شأننا وأوسعها نطاقا في أمريكا خدمة الطفولة . ولعل حيننا للأطفال ، ولعل تقديرا أن الغلبة على أى مشكلة اجتماعية تكون ضمن وأيسر إذا ما عولجت في النشء وهم بعد في سن الطفولة ؛ لعل هذا وذلك مما السرفيا يشاهد من الاقبال العظيم على العناية بأمور الطفل .

وكانت أولى الخدمات الاجتماعية للأطفال تدور حول احتياجاتهم الى ضرورات الحياة الأولية ، أعنى حاجتهم الى الطعام واللباس والمأوى . فأقيمت المنشآت وملاجئ الأيتام لتكفل لهم ذلك . ولم أن توافرت للأطفال هذه المنقومات الضرورية وتم تدير أمرها ظهرت طرائق جديدة أوفى من هذه بأغراض العناية بالطفولة . فرأى البعض أن حاجة الطفل لا تقتصر على الطعام ولباس والمأوى . إذ كان المراد به أن يكون عضوا نافعا في المجتمع ، ومن هنا تفرع ميدان الخدمة الاجتماعية للأطفال الى ميادين عدة ، اختص بعضها بالعناية بأمر الأطفال جسديا وبعضها بتحرى الموضع الملائم لهم مدرسيا . وعنى بعضها بالأطفال الذين كان مقبوضا عليهم فخلعة قانونية ، وتكفل بعضها الآخر بالذين نكبوا بفقد البصر أو فقد ذراع أو ساق أو غير ذلك من لعاهات والأمراض ، ومن المشتغلين بالخدمة الاجتماعية من يصرفون همهم الى تعهد اطفال العائلات ، ومنهم من يهثون للأطفال للعب لرشيد الصحى ومنهم طائفة اشتغلوا بدراسة ما يحتاج إليه أطفال الريف وأخرى بما يحتاج إليه أطفال المدن . وفي نواقع إن هناك هيئة للخدمة الاجتماعية لكل مرحلة من حياة الطفل من ساعة ولادته حتى يبلغ أشده ، ويزول عمله ويتخذ زوجه .

ونكى ينسى أن أعرض عليكم فذلكمة عن ميادين خدمة الأطفال في أمريكا ، قد استبحت لنفسى تقسيم هذا النشاط الاجتماعى بوجه عام إلى خمسة أقسام : قسم صحة الطفل ،

وقسم تربية الطفل وتعليمه ، وقسم اللعب والرياضة ، وقسم العناية بالأحداث المعوزين والمشردين والمجرمين ، وقسم توظيف الأحداث. وهذه الأقسام جميعها متداخل بعضها في بعض، وأتيز هذه الفرصة لتتويه بأن معظم الخدمات الاجتماعية تعمل معا على أوثق اتصال بحيث يستطيع كل فرد محتاح أن يتمتع بجميع موارد الجماعة .

ونحن نبدأ بالكلام عن رعاية صحة الطفل إنما نبدأ بالبداية ، وذلك أنه قبل ولادة الطفل تكون الحامل موضع عناية طبية "مركز العناية بالأمهات الحوامل" Prenatal center وفي هذا المركز طبيب أو ممرضة تستطيع الحامل في أمر صحتها وترشدها إلى وسائل القيام على صحة الطفل وكيف تصنع ثيابه وكيف يكون طعامه واستحمامه وما يجب تباعه من نظام ليشب الطفل سليم البنية معتمداً على نفسه رشيداً . وهناك بعد الوضع اجتماعات للأمهات كما هو الحال هنا في مصر ويسمونها "عيادات الأطفال الأصحاء" Well-baby Clinics . ويأتي الأمهات بأطفالهن هنا لا لأنهم مرضى بل لكي يبقوا في كمال الصحة والعافية . وفي هذه العيادات يقاس الأطفال ويوزنون في فترات منتظمة للتحقق من نمودهم طبيعياً . فصلا عن تعصينهم بالموانع ضد الجدري والتهديا . وفي هذه الاجتماعات يدور البحث في أمر تنشئة الأطفال وتعليمهم ، فقد ترغب إحدى الأمهات مثلاً معرفة العلة في أن طفلها يرضع إبهامه ، وكيف السبيل إلى إقلاعه عن هذه العادة ، أو لعلمها ترض في معرفة ما اصططنعه غيرها من أمهات لإطعام أطفالهن كل ما هو نافع لهم ، وتباحث الأمهات فيما بينهن في هذه المسائل تحت إرشاد خبير أو خبيرة في شؤون تدير الطفل .

فإذا مرض الطفل أو احتاج أمره إلى رعاية طبية فهناك بطبيعة الحال العيادات المجانية والمستشفيات وقد أُلحقت بها مرشدة طبية اجتماعية Medical Social Worker والمهمة المنوطة بها هي تعيين العائلات التي تعالج بالمجان والعائلات التي تؤدي أجر يسير ، وما إلى ذلك ، كما أنها تراعى اتباع الأمهات لإرشادات الطبيب مثال ذلك أن الطبيب قد يصف لطفل مريض شرب رطلين من اللبن كل يوم . ولكن أبويه لا قبل لهما بهذا النفقة فإن المرشدة الاجتماعية تتصل بموظفي المعونة أو المكاتب المختصة لتوزيع اللبن بالمجان أو الجمعيات الخيرية الأهلية ليم للطفل الحصول على اللبن اللازم له . كذلك الحال إذا احتاج الأمر إلى إجراء عملية جراحية للأم فإن المرشدة الطبية الاجتماعية هي التي ترسل أولاد الأم المريضة إلى إحدى مكاتب إيواء الأطفال لتمكن العناية بهم في دار من دور الحضانة Foster Home حتى تتعافى أمهم . وهناك الممرضات الزائرات اللاتي يعملن على اتصال وثيق بالمستشفيات والعيادات وحن يعدن المرضى في بيوتهن بل يحضرن كل يوم مرة ليتواين بأنفسهن حمام المولود الصغير والعناية بأمره إذا شاءت الأم ذلك .

وهناك عدد كثير من مكاتب الصحة المستحدثة - وقد عمد إلى إنشائها منذ سبع سنوات أولوالأمر في واشنطن - وهذه المكاتب تبذل المال لمختلف لولايات بقدر ما في هذه الولايات من الفلاحين حتى يتبأ لأهل الريف - وهم في معظم الحالات ناءون عن المستشفيات والأطباء - أن ينالوا ما يحتاجون إليه من عناية طبية . وتتخذ بعض الولايات هذا المال للنفقة على عيادات متنقلة ، وتقام هذه العيادات في عربات كبيرة من عربات النقل مجهزة بجميع ما يبرم من المعدات الحديثة الوافية . وينتقل الأطباء من قرية إلى أخرى يبذلون للناس خدماتهم في معاينة الأبدان والأسنان وبخاصة الأطفال في سن الدراسة . وثمة فرع آخر بخدمة الصحية لأطفال الريف مهمته إيفاد الأطباء والمرضات إلى الأقاليم لتعهد الأطفال المعصمين بالعلاجات والذين يحتاجون إلى الرعاية .

أما مراكز الخدمة الاجتماعية للأطفال في ميدان التربية والتعميم فأول مراحلها عيادات الحصال Habit clinics أو عيادات السيكولوجية لتوجيه الطفل . وهم لا يتون بالطفل عادة إلى تلك العيادات إلا إذا رأى والده أن أمره معقد وأنه يحتاج إلى تعويده عادات أخرى حميدة للتغلب على هذه الحالة . فإذا كان الطفل في سنته الأولى أو الثانية مثلا شديد الاستحياء أو أنه يغار من غير موجب من أخيه أو أخته المولودة بعده أو تتابه نوبات الغضب فيلقى بنفسه إلى الأرض وقد يضرب رأسه أو بعض يده أو غير ذلك جاء به والده إلى عيادة الحصال . وفي أغلب الأحوال يتضح أن الوالدين لا الطفل هما اللذان يحتاجان إلى التربية والتعليم . فيعمل كل من الطبيب النفساني والمرشد الاجتماعي بالاشتراك مع الوالدين في التغلب على مصاعب الطفل . ولا تقتصر عيادات الحصال أو مراكز توجيه الطفل على الأطفال الصغار بل يتردد عليها المراهقون من الفتيان والفتيات ، وكثيرا ما يقتصر الأمر على مجرد العدول بالطفل عن عادة ذميمة إلى ما هو أفضل وأمثل .

ولقد علمت أنه افتتحت أخيرا في القاهرة دار على غرار ما يسمونه " مهد الأطفال (Crèche) " لرعاية أطفال العاملات أثناء غيابهن في أعمالهن . وهذا النظام شائع كل الشوع في أمريكا . وكانت هذه الدور عند افتتاحها إنما ترعى الأطفال في النهار ، ولم يكن للمرشدين الاجتماعيين اتصال بها . وأما الآن فقد عظم شأنها باعتبارها الخطوة الأولى في التعليم النظامي لأطفال العاملات . فيتعلم الأطفال الصغار في الثانية أو الثالثة من عمرهم مراعاة النظافة واللعب في سلام مع غيرهم ، ويتعلمون الأناشيد والحكايات ، ثم هم يلهون في الهواء لطلق وفي نور الشمس ويتوافر لهم الطعام المغذى وقيلولة الظهر بعد الأكل . وهذه الدور دور الأطفال النهارية Day Nurseries كما يسمونها - شأنها في تعليم الوالدين - إذ ترى الأمهات كيف يكون ترويض الأطفال هنا من غير صفع وتعنيف ، فيعلمن على تنشئة أطفالهن على هذا المتوال . كما يرين هنا نوع الطعام الذي يعطى للأطفال ومقداره فيعلمن

على تدبير طعام الطفل في البيت على هذا المنوال . ثم إن للأمهات أن يجهن بالأطفال ومشكلاتهم إلى المرشد الاجتماعي في دار الأطفال للتباحث في أمرهم . وقد شهدت في إحدى دور الأطفال التي تطوعت لها في وقت من الأوقات ولدا صغيرا لم يتجاوز عمره سنة ونصف سنة أخذ يتحول من ولد مطيع وادع إلى ولد صحاب مزعج وكان يتهدد الأطفال ويخطف لعبهم . وقد أخذنا نلاحظ على الولد أنه بدأ يترنح ، وبالاستطلاع علمنا من أمه أن أحد الأقرباء كان في الأيام الأخيرة يعاقر الخمر أمام الطفل فإذا أخذ منه السكر ظهرت منه أعمال الشراسة والعنف . ولما كانت الأم طوال النهار في عملها بعيدة عن البيت فم تكن تنحظ ما يتركه حال السكر وتصرفاته من أثر في ولدها . ونحب أن نضيف هنا أن الوالدين كثيرا ما يساهمان في تهيئة دور الأطفال بما يقدمانه من معونة في طلاء الأثاث وصنع الستار وما إلى ذلك .

وحين يتجاوز الطفل من الخامسة - ويكون قد أتم مرحلة دور الأطفال النهارية - تفتح له المدارس العامة أبوابها ، والتعليم في تلك المدارس لإزاحي لجميع الأطفال ، ويقوم بالخدمة الاجتماعية في المدرسة مرشدة اجتماعية تعرف بالمعلمة الزائرة (Visiting Teacher) وهي تزور منازل الأطفال وتباحث مع والديهم وتفقههم على سيرهم في مدرسة . فإذا كان الطفل مثلا متأخرا عن أقرانه في الفصل أو كان لا يحضر المدرسة أو كان يبدو عليه التبرم والنضيق بها رجعوا في ذلك إلى المعلمة الزائرة التي تعتمد إلى الطفل وإلى أسرته وإلى معلميه محاولة استجلاء المشكل والوصول إلى حله . وقد يتبين في كثير من الحالات أن مستوى ذكاء الطفل أقل منه في الأطفال الآخرين ، ومن ثمة يشعر بأنه دونهم ، أو قد يكون الطفل ملزما بتأدية عمل من الأعمال بعد انتهاء اليوم المدرسي فيجول ما يناله من التعب دون إجادته في الدروس .

واشغال الطفل بعد الدراسة يفضي بنا إلى موضوع آخر له خطره ، ففي كثير من أنحاء الولايات المتحدة نظام يسمونه بنظام شهادة العمل Work certificate وهذا النظام يسير على الوجه الآتي : كل طفل لم يتجاوز السادسة عشرة (وأحيانا الثامنة عشرة) لا يصح اشتغاله بعمل من الأعمال حتى يكون قد أتم تعليمه المدرسي ومدته ثمانى سنوات للدراسة الابتدائية وأربع سنوات للدراسة الثانوية أو تكون عنده شهادة العمل . وهذه الشهادة لا تعطى لتلميذ في المدرسة إلا إذا ثبت بفحص بينه أنه قادر على الاضطلاع بالعمل مع استمراره في الدراسة ، وبعد التحقق من أن أسرته في حاجة ماسة إلى المال ، وبعد التحرى عن نوع العمل للاستيقان من أنه مأمون الضرر على الولد ، وينص القانون الأمريكى على أن كل صاحب عمل يستخدم صغيرا دون التحقق من أنه يحفل ترخيصا بالعمل يعد مخالفا

لقد انون ويقضى عليه بالغرامة ، وهذا النظام يجري على أحسن حال حين يكون التعليم لراميا
وإلا تعذر على سلطات التعرف على مكان لاجئين وعمله .

ويحسن بنا قبل أن نترك موضوع الخدمات الاجتماعية للاطفال في ميدان التربية أن نلم
بميدان واسع الرحاب وهو ميدان تعليم ذوي إعاقات ويشمل ذلك عدة المنكوبين بالعمى
أو الصمم أو البكم أو فقدان عصب من الأعضاء كالساق أو الذراع في حادث من حوادث
أو من إحصائهم بوجهة في ميلادهم أو الذين أذمهم المرض كشلل لطفولة (التهاب المادة
سجانية الشخية (Polio-myelitis) أو الذين عسدت صحتهم من اضطراب مزمن
في لقلب أو مرض اسكلي أو التدرن الرئوي . وهم شغل في معاجة هؤلاء لأطفال المنكوبين
هو : (أولا) العمل على أنه يشعر انصغير بأنه منهم عامل ذو قيمة في المجتمع على الرغم من عهته
(ثانيا) تنشئته بقدر المستطاع على أن يكون مبتكرا معمدا على نفسه (ثالث) تعليمه وسيلة
من وسائل كسب معاشه اذا أمكن . ولقد كثر عيش على معرفة من مدرسة حكومية
كبيرة للعميان . وكان من المناظر المعتادة المتكررة أن يرى تلاميذ العميان في س الدراسة
اثناوية في غدومهم ورواحهم يسرون وحدهم على هم كاف بالطريق وثقة تامة بانفس وقد
أغاثهم هذا العلم وهذه الثقة عن الدليل يحدد يدهم ويديهم .

وإني لا ذكر زيارة قمت بها لهذا المؤسسة التي فيها أطفالا من أعمار متعاقبة تتراوح
بين الخامسة والسادسة عشرة ، وقد شاهدت في قسم البنات ما فتيات تتراوح أعمارهن
بين العاشرة والثانية عشرة يصنعن طعامهن فيمن تجهيز الخضراوات وطهيها وتقديمها كل
ذلك دون أي مساعدة خارجية ، وكن يتعمس أيضا الحياكة بايد وآلة الخياطة ، وكذلك
أشغال الأبرة والكوشيه . وكان لأطفال العميان يتعمون في تلك المدرسة كل ما يتفق
بالعالم الذي يعيشون فيه بواسطة نماذج خاصة . فكان عندهم مثلا نموذج حبة القمح يبلغ
طوله قدمين . وإلى جواره حبة القمح الحقيقية حتى يتعرفوا على الحجم الطبيعي ، كما كانت
عندهم حيوانات وطيور مصورة إلى جانب عدد من الحيوانات والطيور الحية والنباتات
النامية ليتمسوها وكان الغرض من هذا جميعه أن تكون لديهم عند تمام دراستهم فكرة عن
العالم تعادل تلك التي عند إخوانهم المبصرين . وبالإضافة إلى ذلك يتعلم هؤلاء الأطفال
بعض الحرف التي لا تستلزم الإبصار كصناعة لسلان والمكاس . وكثيرا ما يلحقون بعد
إتمام دراستهم بورش مخصصة للعميان كل في العمل الذي يتقنه . ولما كان كل الموظفين
بهذه الورش ممن نكبوا في بصرهم فهم لا يشعرون بأنهم دون غيرهم . وهذه المناسبة أذكر
أن معظم العميان يتعمون استعمال الآلة الكاتبة . وقد رأينا في معرض نيويورك العالمي
الكثيرين منهم يعرضون أن يكتبوا لرواد المعرض رسائلهم على الآلة الكاتبة . وقد اتخذت
الوسائل لتعليم الأطفال العميان كيف يقضون أوقات فراغهم . فقد دون الكثير من الكتب

الأدبية الشهيرة بطريقة "بريل" ليستمتع العميان بقراءتها ، كما أن الكثيرات من الفتيات الصغيرات قد شغفن بالموسيقى من غناء وعزف . وأصبحت تتوافر الآن بعض النوتات الموسيقية المكتوبة بالبريل ، وتقوم بعض المجلات بإصدار طبعة خاصة من أعدادها مدونة بالبريل لتيسر للعميان الإحاطة بما ينشر في العالم . هذا بالإضافة إلى ما يقدم به الراديو من معلومات .

وهناك خدمة أخرى للعميان تتولاها جمعية الصليب الأحمر (ويقابلها في مصر جمعية الهلال الأحمر) ويتطوع به السيدات فيقمن في أوقات فراغهن بنقل الكتب إلى طريقة بريل . وبذلك تزيد عدد كتب العميان عاما بعد عام . وتفتح الجامعات في أمريكا أبوابها للعميان وتسمح لهم بالانخراط بها فيستكفون ثقافتهم بما يستمعونه من محاضرات . ورصدت بعض الولايات هناك مبالغ من المال لاستئجار من يقرأون الكتب الجامعية عليهم ، وإن كنت قد أطلت الكلام هنا عن العميان فذلك لأنني علمت بأخاثة الشديدة في مصر إلى زيادة الاهتمام بأمرهم .

وتوجد بطبيعته الحال مؤسسات أخرى للصم والبكم . كما توجد في مدارس التعليم العام فصول خاصة بالأطفال الذين نكبوا بفقد عضو من الأعضاء أو تعطيله بسبب حادث أو مرض . أما الأطفال المرضى بأمراض القلب أو الصدر الرئوي فنهج مدارس يكون النشاط المدرسي فيها محدودا وتختل أوقات الدراسة فيها فترات طويلة للراحة وتعطى الدروس في الهواء الطلق وتقدم لهم أكالات خفيفة بين الوجبات ويوجد قسم خاص في إدارة التعليم يقوم بإيجاد عمل مناسب هؤلاء الأطفال بعد إتمام دراستهم بحيث لا تنفد عاقبتهم في سبيل كسب عيشهم . ويتعاون أصحاب الأعمال إلى حد كبير في هذا الغرض ، وكثيرا ما يقررون أن بعض ذوي العاهات الذين استأجروهم عن هذا الطريق يؤدون عملهم على وجه يفوق ما كانوا يرجون .

ولقد صادفت فتاة كانت تشتغل بالخدمة ثم أصيبت بمرض أفقدها حاسة السمع ، وكان ذلك سببا في الامتناء عنها وانقطاع رزقها فالحقتها هذه الإدارة بحل للكي اقتصر عملها فيه على كي الملابس طوال اليوم . وهكذا لم يحل فقدها السمع دون كسب عيشها .



ننتقل الآن إلى مشاكل الأطفال المنكوبين بنقص عقلي ، وشأن هؤلاء كشأن من تقدم ذكرهم من الأطفال المنكوبين بعاهات . فالطفل الذي يكون من النقص العقلي بحيث لا يملك تصريف أمره مؤسسات خاصة تعنى به إلى أجل غير محدود . فإذا كان لا يزال مالمسكة من العقل والذكاء علمته المؤسسة كيف يعنى بنفسه وكيف يقوم ببعض الأعمال العادية البسيطة كالكلس والحفر والردم وما إلى ذلك . أما المشكلة العظمى فهي مشكلة

الأطفال الذين ليسوا من الغباوة وانطاس العقل بحيث يحتاجون الى مؤسسة تحجر عليهم وتتولى الأمر عنهم ، وليسوا في الوقت نفسه من الذكاء بحيث يمكنهم أن يعوا بأنفسهم ويكسبوا عيشتهم ويبتنوا السوء . وليس يخفى عليكم ما يترتب على قرار يتخذه طفل لا يتوافر عنده الذكاء الكافي للفأضلة بين أى الطريقتين يسلك .

فكم من طفل من هؤلاء ساقه ضعف عقله الى دخول محاكم الأحداث لأنه ارتكب جرماً ما كان ارتكابه له إلا بدافع التقليد أو الايعاز . كما أنه لاشك في أن اللقضاء الذين يماؤنا الأسى حين نقرأ في الصحف عن وجودهم مطروحين على قارعة الطريق إنما هم نتيجة مسك قيات من هذا النوع المنطمس العقل اللواتى لا إرادة لهن إلا ما يمل عليهن . كذلك يدخل في عداد هذه الفئة الأمهات الصغيرات السن ابحاهلات بمبادئ رعية الطفل اللواتى يحملن أطفالهن ويجنين عليهم بذلك شر جنابة . وهناك وسائل شتى متبعة في الولايات المتحدة لحل هذه المشكلة ، ونعيد القول بأنها جميعها تتفق في إشعار الطفل بأن له قيمته في المجتمع ، وأنه مستقل غير خارج على القانون . كما أن له نصيبه من السعادة . فتى إحدى الولايات مثلاً نظام يقضى بتمهيد الأطفال والبالغين من هؤلاء في المدارس الحكومية المخصصة لضعاف العقول لمدة كافية يسامون بعدها الى ذويهم . وذلك بعد تعميمهم ويعرى هذا التعميم لا عن اعتقاد بأنهم لا محالة يعقبون نسلاً منقطع الذكاء ولكن لأنه من المحقق أنهم على درجة من لغباء بحيث لا يستطيعون رعاية أطفالهم . ويزاول الذين يخلى سبيلهم من تلك الفئة بعض الأعمال غير المعقدة فتقوم الفتيات بالخدمة المنزلية البسيطة لكسب عيشهن ويشغل الأولاد بالفلاحة أو بما سهل من بعض أعمال الورش .

وقد لا يحتاج بعض هؤلاء الأطفال الى التعليم في المؤسسات اذا قدر لهم قسط ولو يسير من الذكاء فيلحقون بالفصول الخاصة في مدارس التعليم العام حيث يتلقون أقل مقدار من الدراسة النظرية ، وأكبر مقدار من التمرينات اليدوية . ويراعى دائماً اجتناب مقارنة هؤلاء الأطفال بغيرهم من هم أوفر ذكاء حتى لا يشقوا بذلك مع العمل على إيجاد وسيلة لهم يكتسبون بها عيشتهم بعد تخرجهم . ويجمل بنا أن نقرر هنا أن هؤلاء الأطفال رغم ما ينالونه من عناية ينطبق عليهم ما وصفتمهم به أحد المشتغلين بالخدمة الاجتماعية من أنهم ” يعيشون كسيارة قديمة في حركة مرور مزدحمة “ .



وإذا انتقلنا بالحديث عن الخدمة الاجتماعية الى ميادين التساية فإني أطرق موضوعاً محبباً الى الكثيرين منكم حيث أتى سمعت بالمجهود العظيم الذى يبذل هنا في شأن أولاد الشوارع ، ومشكلة هؤلاء في أمريكا تشبه بعض الشبه المشكلة في مصر ،

الإلتفات لتعليم الأثرى مندروس على جميع لأطفال في أمريكا يكمل لأعليه الاطمئنان عليه نحس ساعات يومنا وميا على الأقل في مكان أمين نعون تحت انتمو المراقبين من المدرسين . ولو ان هذا لم تمض هناك على كل احتمال لوقوع ما لا يحمد وقوعه من الأطفال . ومن ثمه كان نسبة لنوادى مدرسية للأولاد والبنات مما يقابل بالارتياح من الثنائين على مدرس ومن محاذك لأحداث . وتنسأ أوجه النسط في تلك النوادي ماتراه من مثيلاتها فيالمره . ومن احقائق المسم بها أن أهم متعة و حياة لأولاد والبنات في سن المرهقه وقده هو لأصائل بقرن يكون من سبه ومستاربه ولذلك كان الغرض من هذه الأندية أن يكون مستسا لهم لإشباع رغبة الاجتماع على وجه لا يخشى من ورائه ضرر بدلا من أن يترك هؤلاء صعبا يمشون وفأق لهم من بين من لأخلاق لهم من أولاد شوارع والأزقة . وهناك ملاحظ فيحة لعل الأضلل اصغار الذين تتراوح أعمارهم بين لخامسة والعاشرة وتشرف عليها بحسن نكار ليوجهو نشاط الأضلل ويدوهم بفضل تحربهم على ما فيه تنوع ألعابهم . ولأندية لمدرسية تعنى بالألعاب الرياضية والتمثيل والمباريات المنظمة كما تنظم مصاف بعض لأضلل فيها وقته عيدا عن شوارع المدينة بمرها الشديد ابان الصيف .

ويجوز بنا أن نأسي هذا ما يجب لتسمية أطفال أريف ، فإن هم في مرهكا جمعياتهم الخاصة التي تجمع بين نسبة وتعليم ، وهذه الجمعيات ترعاها وتمولها وزارة الزراعة وكليات الزراعة إلى جانب الهيئات لأحوية زراعية ، وتوجه أحسن العناية في هذه الجمعيات إلى ما يهم الشباب الريعي ، ولعلنا نجد ما يصلح اقتباسه منها في مصر وبخاصة وسائل لأيضاح العمليية (Demonstration) مثلا قد يرغب لأولاد والقياد لمشروع في تربية لدجاج فيقرأ النشرات الحكومية وهذا الموضوع ويتناقش مع رئيس لمجموعة ومع أي شاب من جيرانه اشتهر بتجارحه في تربية لدجاج وعندئذ يبدأ في تصيد مشروع ، وعندما يتم المشروع يدعو كل أفراد لمجموعة في مزرعه وهناك يشرح لهم ما اتبعه من الخطوات الموقفة في تربية الدجاج ويحبرهم بتجاربه خاصة وما صادفه من صعوبات وكيف ذللها ، وبين هم الأدوات اللازمة وكيف استعملها ، ويذكر لهم تكاليف وما ينتظره من أرباح عند بيع دجاجة ، وترون في هذا كيف يمكن لمجموعة كبيرة من الأولاد لقروريين فد لا يتسنى لهم قراءة نشرات الحكومة لغنية بأفسه أن يتعلموا بدمهم طريقة الشرح المستعملة كافة ما يلزم لإنجاح مثل هذا المشروع . وتقوم النساء بتمثل هذا العمل في بعض الموضوعات كتحفظ الفاكهة والخضراوات وصناعة ملابس وزراعة زهور الخ . وهذا لخط من التظيم له مزية خاصة في البلاد التي لا يلزم جميع سكانها بالقراءة والكتابة . ولهذا النوادي اقروية في إبان الصيف مصابفها فتبها لهم الفرصة للاستمتاع بجمال الطبيعة في تلك المصايف ، وعندما نتكلم عن

التعاون بين مراكز النسبية ومراكز الأحداث ومراكز ارشاد الطفل سأزيدكم تفصيلا فيما تؤديه هذه الهيئات من خدمات .

ونحن اذ نعرض لموضوع العناية بالأطفال المشردين والمهملين والمجرمين نظرق ميدانا واسعا في البحث . ولعل أول ما اتجهت اليه أمريكا للعناية بأمر الأطفال كان منصبا على هذا الميدان . فقد كان هناك — كما أسلفت القول — ملاجئ تتكفل بالأطفال المشردين ولا زالت هذه المؤسسات موجودة الى الآن ولكنها ليست واسعة الانتشار كما كانت أول الأمر . وجرت العادة اذ ذلك أن يوضع كل طفل لا أهل له في ملجأ من الملاجئ وقد يتفق أن يقضى الأطفال كل حداتهم هنالك حتى يبلغوا الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمرهم . غير أن الطفل وإن نشأ بين جدران خير الملاجئ فإنه لا يعرف الا القليل عن العالم الذي نعيش فيه ، فاذا ما خرج الى هذا العالم وهو في سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة بل العشرين أحيانا . فإنه يكون في حيرة من أمره . ولا شك أننا اذا رجونا من قتي تكفلته هذه الملاجئ أن يكون زوجا صالحا وأب أسرة صالحا وهو لم يعرف قط حياة الأسرة فانما نرجو مستحيلا . ولهذا أخذ القائمون على الخدمة الاجتماعية يبحثون عن طريقة عملية ناجحة لتربية هؤلاء الأطفال المشردين بحيث تضمن لهم حياة أقرب الى حياتهم في بيوتهم وبين أهلهم ، ولا تتكبد الكثير من النفقات ، فقد اهتمت الباحثون الى أب الكثير من هؤلاء الأطفال ما كانوا ليركوا بيوتهم لو تغيرت الحال فيها . وذلك أنه مثلا عند وفاة والد عن خمسة أطفال أو ستة تصبح الأم عاجزة عن أن تعولهم فتؤثر إرسالهم الى ملجأ على رؤيتهم يتضورون جوعا . وحياة الملجأ الى جانب مساوئها الكثيرة كثيرة التكاليف فقد دل البحث على أن كل طفل يدخل الملجأ في أمريكا يتكلف حوالى العشرين قرشا يوميا لأن هناك تكاليف البناء العظيم وأجور من يعنون بالطفل ومن يطهون طعامه وينظفون مسكنه ، مع أنه لو عاش بين أهله وقامت أمه على خدمته والعناية بأمره لهبطت التكاليف الى نحو الثلثين وفوق ذلك تنبأ للطفل فرصة أوسع ليصبح فردا كسائر الأفراد . وتبقى حقوق الأم مصونة محمية . وعلى هذا النحو أدخل نظام معاش الأم في كثير من الولايات . ورغم استقرار الملاجئ فقد أصبح استعمالها يقتصر عادة على السكنى القصيرة ، فاذا احتاج الأمر الى بقاء الطفل بعيدا عن أهله مدة تزيد على بضعة أسابيع استعيض عن سكنى الملجأ بنظام آخر وقد يكون الملجأ مكانا مناسباً للإيواء الطفل اذا كان له أقارب يمكنهم التردد عليه حتى لا تنفصم رباطه العائلي . ومع ذلك فإن هذه الملاجئ قد بدأ تعديلها فعلا بحيث تشبه حياة المنزل قدر المستطاع . فهناك نظام للملاجئ يطلق عليه اسم نظام البيوت الصغيرة (Small cottages) تحمل فيه تلك البيوت الصغيرة المتعددة محل تلك البناية الواحدة الكبيرة الشبيهة بالسجن ولكل بيت من هذه البيوت سيدة تقوم عليه تعرف بأمر المنزل (House Mother) يوكل

اليها عدد من الأطفال لا يتجاوز العدد المألوف في عائلة طبيعية . أى بين ثمانية أطفال الى عشرة . وتتفاوت أعمار هؤلاء الأطفال في كل بيت لكن يتبأ للطفل الكبير مشلا أن يقدر معنى وجود إخوة وأخوات صغار له . وحتى يميز هؤلاء الأطفال مدى ما تجلله هذه الحياة من مسرات وما تقتضيه من توضيحات كما يذهب هؤلاء الأطفال كبيرهم الى المدارس حتى لا يختلف تعليمهم عن تعليم الأطفال الآخرين . وقد يدعون زملاءهم الصغار في المدرسة ليلعب معهم في البيت أو في فناء الملعب الكبير . بل ترسل الأطفال أيضا الى الحوانيت لشراء طعامهم يعرفوا قيمة النقود حتى يأتى الوقت الذى يكتسبون فيه معاشهم بأنفسهم ، غير أن حد النظام على ارفع مما يبدو من صلاحه لا يمكن مقارنته بما يلاقه معظم الأطفال من عدية في منازلهم وبين عائلاتهم . ولهذا امر الأمريكىون حديثا اتحاد نظام منازل الحضانة Foster Homes لما تبينوه من أنها تفضل أحسن الملاجئ . وتختار بيوت الحضانة في أمريكا عناية عظيمة ويبدل جهد عظيم في ملاحظتها عن كسب قبل ايداع الطفل فيها . وفي أثناء مقامه بها . ومن مزايا منازل الحضانة إمكان إيواء الاخوة والأخوات تحت سقف واحد كما يستطيع أن يتردد عليهم أقرباؤهم ، فضلا عن إمكان ايداع الاطفال بين أناس مثل والديهم حسية ونزعة وديانة . ويلاحظ أنه إذا طال مقام الأطفال بعيدين عن والديهم فإنهم ينشأون على حب والدى الحضانة كأنهم عمم لهم أو حالات ، أو كأنهم والدون جديدون اذا كانوا قد عدموا والديهم ، ويدفع لوالدى الحضانة نفقات معيشة الطفل بينهم ما لم يتبنوه . ولا يفوتنا أن نضيف الى مزايا منازل الحضانة أن تكاليف الطفل فيها لا تزيد عن ثلثي النفقة في الملجأ .

وإذا كانت منازل الحضانة تراقب عن كسب في حالة ايداع الطفل فيها فلا جرم أن يكون تبني الطفل مدعاة لمصاعفة هذه الرقابة . وهناك الآن إقبال كبير على تبني الأطفال في أمريكا وقد روجت له المقالات الكثيرة في مختلف المجالات ، وربما كان من أسباب هذا الإقبال أيضا ما تزعمه المكاتب الاجتماعية Socia. agencies من نجاح في التبني في أكثر الحالات . إلا أن الحال للأسف لم تكن كذلك على الدوام . فعندما بدأت حركة التبني لم تكن هناك اختبارات وافية للتحقق من أن الطفل جسديا وعقليا في حالة طبيعية . كما جرت العادة وقتئذ بعرض الطفل للتبني في سن مبكرة جدا لا تعدوا أحيانا بضعة شهور . أى في سن يتعذر فيها اجراء الاختبارات المعروفة بنجاح . وقد أدى هذا التصرف في كثير من الحالات إلى خيبة في الآمال مريرة لوالدى التبني . فكثيرا ما كان الصغير الجميل ينمو ويصبح ناقص العقل ، كما كان يمو الرضيع الذى تدو عليه الصحة ويصبح طفلا مصابا بمرض سرى أو بانصرع . أما الآن بعد إدخال التعديلات على ملابسات تبني الأطفال فقد صلت الأحوال .

وقد كنت أعمل حديثاً في مكتب اجتماعي يقوم بإيواء الأطفال وكذا بالتبني، فكنا قبل أن نعرض الطفل للتبني نبذل قصارى الجهد في جعل أقرابه يتولون كفايته والعناية بأمره فإذا استحالت ذلك، وصعدنا في منزل للعضانة لمدة أشهر وقد يبقى فيه عدة سنين إذا ظهر أن استعداد الطفل للتبني لم يزل محل شك . وفي الوقت الذي يعود طيب في منزل الحضانة مرة في الشهر نعتبر أيضاً عقيبته و تناس درجة نمو ذكائه وموهبه للتحقق من بوعه على الأقل المعدل الطبيعي الذي نتوقعه به . كما يلاحظ تكوينه اعاضى وقوة شخصيته حتى نستطيع معرفة أى نوع من انولدين أكثر موفقة له ؛ فإذا التبيننا إن أن الطفل عادى أو فوق العادى نبدأ بالبحث عن ابيت الملائم له تماماً بعد أن نكون قد ستوفينا الدراسة الاجتماعية للمولدين الحقيقيين أو للجدين أو الأعمام أو الأخوات ، وما كنا نحتاج في العادة إلى بذل مجهود كبير في البحث عن منزل بأويه إذ كان أمامنا نمون طلباً مستوفية لكل طفل معد للتبني، وكنا نستقصى في البحث ونسحري للتحقق من صلاحية منزل ما لتبني الطفل، فإذا ما وجد أن المنزل المعروض ملائم من كل الوجوه أودع لطفل فيه لمدة ستة على سبيل التجربة فإذا ما انتظم الطفل في تلك الحياة المنزلية خلال هذه السنة جاز لأهل هذا المنزل تبنيه بموافقة المكتب الاجتماعى .

وهناك أطفال يختلفون قليلا عن تلك الفئة السالف ذكرها ويسمون "الأطفال المهملين" neglected children ولهم هناك مكاتب خاصة تقوم على خدمتهم تسمى بمكاتب حماية الطفولة ويكون المرشدون الاجتماعيون في تلك المكاتب عادة على اتصال وثيق بالحاكم، وذلك لوجود قوانين صارمة خاصة بالطفل الذى يهمله أو يسيء معامته شخص ما وهناك في واقع الأمر لمحاكم الاحداث سلطات خاصة تستطيع بواسطتها وضع البالغين تحت المراقبة اذا اقتضت حماية الطفل ذلك

ويفضى بنا ذكر محاكم الأحداث انى موضوع الأحداث المجرمين الذين هم موضع الاهتمام في أمريكا كما هو الحال في مصر ؛ ويحسن بنا هنا البدء بذكر شىء عن المجهودات التى تبذل في تفادى دخول الطفل ساحة القضاء قبل أن نعرض لمفاهيم عملهم وهو داخلها، فقد سبق لنا أن ذكرنا مركز التسلية Recreation centers كوسيلة لوقاية الأحداث من الإجرام وأود أن أذكر هنا مثلاً طريقاً حل فيه البناء محل الخدم عن طريق الترفيه : هناك أسطورة تقول : إن الساحرت في ليله الهاالوين All Hallowed's E'en في آخر شهر أكتوبر يخرجن ليفسدن في الأرض، وقد درج الأطفال على عادة سيئة مرذولة احتفالاً بتلك الليلة، فهم يعيشون فيها ويتلفون، ولا يمثل الخيال مقدار الخسر التي تقع في المدن الكبيرة في تلك الليلة الواحدة، فهم يسرقون النباتات المزروعة في الأصص ويقتلعون أبواب الحدائق، وقد يحدثون

التلف بالسيارات، وأخيراً ستم لاجل بوليس إحدى المدن الكبيرة من بقائهم ساحرين طوال هذه الليلة لاعتقال هؤلاء الأطفال، فاتفق أمرهم على أن يقيموا في تلك الليلة حفلة سمر كبيرة ويدعون إليها جميع أطفال المدينة و إحدى مراكز التسليه على أن يعودوا إلى منازلهم مباشرة بعد انتهاء الحفلة ، وفعلاً لجي الأطفال الدعوة وتمتعوا بوقت أطيب مما لو قصفوه في سرقة الناس ويتلاف مثلكتهم

وقد وجد في اليوم الثاني للحفلة أن التلف في المدينة كاد يكون معدوماً في تلك الليلة ، وأن حسن التصرف في ليلة واحدة منع تقديم العدد الكبير من الأطفال إلى محاكم الاحداث . فذ. يكون لو حاولنا مثل هذا التصرف في كل يوم من أيام السنة !

وقد سبق أن بينا كذلك عمل المدرسة الراء ، فقد وجد أنه كثير وكثيراً جداً ما تكون حالة الهروب من المدرسة المستأصلة في نفس الطفل هي بديهة نزعته إجرامية تظهر فيما بعد . وقد يمكن اعتبار الطفل الكليل الهروب من المدرسة سالكاً سبيل الشروع في الاجرام ، فالمدرسة الزائرة تكتشف مبكراً أسباب سوء سلوك الطفل فتأخذه إلى مركز ارشاد الطفل Child guidance centre قبل أن يصبح مجرماً . كذلك تستخدم منازل المدرس Study Homes كوسيلة لمنع الإجرام . ومنازل المدرس هي مؤسسات صغيرة يستقر فيها الطفل مدة قصيرة من الزمن حتى يستطيع المرشد الاجتماعي - وإذا احتاج الأمر يرضم إليه الطبيب النفساني - أن يلاحظ الطفل في حياته يوماً بيوم ، في لعبه مع الأطفال الآخرين وفي أكله ونومه وهو يتكشف رويداً رويداً أمام أولئك المهتمين بأمره . وهناك حركة أخرى لمنع الاجرام أود ذكرها وهي ما يسمونه بنظام الأخ الكبير والأخت الكبيرة فيتم شاب كبير أو شابة كبيرة في العشرين أو الحادية والعشرين من العمر بطفل من تلك الفئة المسكودة فيزوره مرة أو أكثر في الأسبوع ويحاول تحييه في أنواع أخرى من انشباط غير التي تخرف به إلى محاكم الاحداث .

فاذا ما اقتيد الطفل مرة إلى محكمة الاحداث سواء فعل ذلك والده أو ابوليس أو ممثلو المدرسة أو أي شخص له صلة أو اهتمام بالأمر ، فإن حالة الطفل توضع تحت دراسة المرشد الاجتماعي المختص ويسمى إذ ذاك أيضاً بضابط المراقب Probation Officer وهناك طرق مستحدثة مستوفاة لهذا النوع من الدراسة تؤدي إلى التفهم العميق للأسباب المستترة وراء تصرفات الطفل ، فمثلاً قد يناقش الطفل عدة مناقشات قائمة على أساس الدراسات النفسية وقد يرسل إلى مراكز التسليه صاية مرات لتتلقى ملاحظة سلوكه مع باقي الأطفال ، فإذا ما انتهت تلك الدراسة اجتمع المرشد بالقاضي على التمراد وأقضى إليه برأيه ، ويتفقان بعد ذلك على وضع لطفل تحت المراقبة أو إرساله إلى إصلاحية أو إلى حل آخر . فإذ أودع الطفل الإصلاحية لا يطلق سراحه منها قبل أن يتحسن سلوكه تحسناً كافياً

و يوجد الآن ، كما سبق أن قررت ، مجال للخدمة الاجتماعية في قسم توظيف الأطفال .
فبين تبذل محاولات لكثيرة لحماية الأطفال لصغار حتى من السادسة عشرة والثامنة عشرة
من العمل لصغارهم ، والعمل المتوصل لندي يحرمهم من حقهم في اللعب والتسوية ، نجد
هناك أيضا محاولات ترمي في السعي لضمان نوع من العمل لمن يرغبون فيه بعد انتهاء
تعليمهم . وقد يكون من مؤلم أنه استحالة ذلك حتى على الأمريكيين رغم لاهتمام بعضهم
برعاية الطفل وعدم وضعه لأشعة في الدستور بتحريم تشغيل الأطفال . لذلك تبذل الجهود
الكثيرة هناك لمحاربة تشغيل الأطفال بتقييد شروط توظيفهم ، فمعدن مكتب حكومي
بالأطفال في و شصن يستعين بأولى لأمر في المدارس وناشئات لأخرى في تهيئة وسائل
معدونة تعمل على الاستمرار في دراسته ووضع شروط احصارمة في سبيل تشغيله . وقد
مكن حديثا من قانون مقررات العمل المعتد air Labour Standards وهو رغم عدم تأثيره
على مبدأ تشغيل الأطفال في كافة الأعمال لا زال بعض سلطة مكتب الأطفال في وشصن
تقرير أن بعض أنواع عمل مصرة بهم . وكم من عمل يمكن اعتباره صرا بالاطفال إذا
ما كانت لئية مبنية على محاربة أمر تشغيلهم ، وهكذا أصبح مكتب الأطفال في وشصن
بساء على هذا القبول أن يعتبر عمل الأطفال في المناجم ومصانع الآلية يمرضهم بالأخطار ،
واستضعف المكتب أن يحرم عمل الأطفال في محلات صنع أو توزيع المشروبات لروحية بحجة
أن خطر يهدد فيها أخلاقهم ، كما حرم اشغال الأطفال بأي عمل آخر يستدعي تركهم مدارس
لأن في ذلك صرر على تعليمهم - و و انه نصح اشغال هؤلاء الأطفال في الأعمال الزراعية
عبر الآلية في مدة الإحارة الصعبة - كما يسمح المكتب بالعمل بعد انتهاء يوم دراسي لكل
طفل بين رابعة عشرة والخامسة عشرة وحاز تصريحاً للعمل - بشرط أن يكون هذا
العمل حائزاً موافقة المكتب .

ولكي تضمن الحكومة الأمريكية وجود العمل وإمرانة لمساعدة شبابها نشأت إدارة
أخرى تسمى إدارة شباب الأهلية National youth administration وتنفذ تلك الإدارة
بالشباب و لثابة لنذين وصلوا إلى مرحلة التعليم الثانوي ويحتاجون إلى فرصة للعمل ، فإذا
كانت عائلة الطفل مثلاً شديدة لفقر لا تسمح حالها بنفقة ركوبه لثم أو شرته غذاء مناسباً
فإن إدارة الشباب لأهني تمدد بنفقة " تلمذة " على أن يقوم الطفل بتفكير ذلك ببعض العمل
الخفيف مثل نقض الغبار عن مكتب في مكتبة المدرسة وما إلى ذلك ، وتصرف له مبلغاً
شهرياً يفي بنفقاته المدرسية . أما اشباب الأكبر سناً بين ١٨ - ٢١ سنة غير الملزم بالاستمرار
في المدرسة فتهيء له هذه الإدارة عملاً يشغل كل وقته ويتكهن بنفقات حياته . ومثل هذا
التوظيف يزيد من تهميمه ومعارفه في لوقت الذي يوفر لوليد أو البنت رزقه لأن
هذا التوظيف روعي فيه أن يساعد على تنمية موهبه ومقدرته في أي ميدان من ميادين
سواء أ كان الأمر يتعلق ببناء لكارى أم التصوير الفوتوغرافي .

ويشبه هذا النظام نظام آخريقال له " فرق المدنيين للانقاذ Conservation Crop Civilians وحى حركة حكومية أخرى الغرض منها إعطاء الشباب فرصة تمضية بعض الوقت في الأرياف يعبدون زراعة الغابات التي احترقت أو قطعت أو يننون السدود لحماية التربة من عوامل التعرية . وبصفة عامة إنماء الموارد الطبيعية بجميع الوسائل .

وإنى لأرجو أن تكونوا قد لاحظتم خلال هذا البيان المطول ، الاتجاه الذى تسير فيه هذه المشروعات المختلفة لخدمة الطفولة . فقد لاحظتم أولاً أن الحكومة الأمريكية قد كفلت بصفة عامة الكثير من المشاريع الجديدة خصوصاً ما اتصل منها بكيان الأمة بأسرها . وانهم قد لاحظتم أيضاً أن طريقة معالجة الحالات الفردية قد تغيرت عن ذى قبل . ولقد حاولت أن أبين لكم كيف تطور النمط الإدارى الذى كانت تجرى عليه الخدمة الاجتماعية قديماً والذى كان يقوم على مجرد نقل الطفل من بيئته السيئة ووضعها فى ملجأ فأصبح الآن قائماً على الدراسة النفسية الفردية . فتبحث حالة الطفل للوقوف على حيز الهياكل الاجتماعية لعلاج حالته وحالة بيئته . كما أرجو أن تكونوا قد تبيتم مدى ما يطرأ على هيئات الخدمة الاجتماعية من تطورات منذ تألفت . وسواء أكان هذا التطور نتيجة اندماج هيئتين أو أكثر لتصبح خدمتهما أوفى وأقل نفقة . أو كان التطور عن طريق نبذ الأساليب واستبدال أخرى بها فإن هيئات الخدمة الاجتماعية لا تبرح تمعن النظر فى نظمها وأعمالها لتتعرف أمثل الوسائل لتكون دائماً أجدى وأنفع .

وكل رجائى أن أكون فيما قد مقتته من هذه البيانات المزدحمة قد وفقت إلى الافادة وأن تكونوا قد وجدتم من بينها ما ينفع فى معالجة المشروعات الاجتماعية الكثيرة الهامة التى نشد تحقيقها فى مصر الناهضة ما

منى صدقى